الفصل الثالث

الصحافة والأدب

العلاقة بين الصحافة والأدب موضوع قديم متجدد منذ نشأت الصحافة ، وقد كانت نشأتها كأثر من آثار الأدب ذاته ، إذ كان الصحفيون الأوائل أدباء من كتاب المقالات الأدبية الرائعة ومن ناظمى القلائد الشعرية الغالية .

وبينما كان الأدب تعبيراً بألفاظ جميلة عما يجيش فى النفس ويصوره الخيال ويهتف به القلب ، ونحس به من الآلام والنقد وأسباب الإصلاح ، كانت الصحافة مهنة مهمتها وقف الجمهور على ماجريات الحوادث اليومية أو الأسبوعية ، فتتناول أنباء الأدب ورسالته كما تتناول غيرها من أنباء العلوم والجرائم والمال وبحوثها ومن هنا كانت دائرة الصحافة أعم وأوسع نطاقا من دائرة الأدب ، وكان الأدب جزءا من الصحافة ، جزءاً صغيراً ، وقد يكون تافها ، لأن الصحافة تعنى بما على الهامش وبالسهل الميسر ، إلا إذا تخصصت الصحيفة للأدب دون سواه .

وقد استفتت مجلة الهلال حضرات : المرحوم عبدالقادر حمزة

باشا مؤسس جريدة البلاغ ، والمرحوم انطون الجميل باشا رئيس تحرير جريدة الأهرام ، وخليل مطران بك شاعر العروبة ، وأحمد حافظ عوض بك مؤسس جريدة كوكب الشرق ؛ فكان مما قاله المرحوم عبد القادر حمزة باشا :

« إن المتعارف عليه هو أن الأدب عنصر من عناصر الصحافة . ولكن الصحافة ليست الأدب . بل هي فن أعم وأوسع ، فالأديب قد يكون دتباً مبرزاً وبحاثة لا يشق له غبار ، ولكن لن يكفيه ذلك لكي يكون صحافيا ، وإنما يكون بان يجمع إلى الأدب علوماً وفنوناً أخرى ثم بأن تكون له خبرة كافية بالناس وبالأشياء وبالحوادث وبأذواق الهيئات المختلفة ثم بان يرزق مع هذا كله الملكة الصحافية التي يستطيع بها أن يلفت نظر الجمهور إلى مايريد أن يبرزه أمامه ، فالأدب على هذا بضاعة من بضاعات عدة لابد للصحافي منها ولا ريب في أنها بضاعة جميلة ، ولكن إذا اقتصر الصحافي عليها أو إذا هو برز فيها ولم يعط البضاعات الأخرى إلا القليل من عنايته ، لم يكن صحافيا . وبالعكس إذا هو أصاب في الآداب نصيباً صالحاً من غير أن يصل فيه الى التبريز ثم أصاب مثل هذا النصيب في البضاعات الأخرى ثم كان مبرزاً في ملكته الصحافية فهو صحافي » .

« ولكنني أعود بعد ذلك فأسأل : هل الأدب الصحيح يمكن أن يتم للأديب من غير إلمام كاف بكثير من العلوم والفنون العصرية ، ومن غير خبرة كافية بالناس وبالأشياء وبالحوادث وبأذواق البيئات المختلفة ، ثم من غير أن يرزق مع هذا قدرة على أن يلفت نظر الجمهور إلى مايريد أن يبرره أمامه ؟

« إن كان معنى الأدب أنه التبريز فى اللغة وفى الكتابة وفى معرفة الشعر فهو حينئذ أدب ضار غير منتج . أما إذا كان معنى الأدب أنه التثقيف الكامل علما ولغة وكتابة وخبرة بالناس والأشياء والأذواق ، ثم قدره على الإنتاج ، فهذا هو الأدب الواسع المنتج . وهذا الأدب الواسع يكون الفارق بين الأديب والصحافى . أن الأول يبحث ويكتب غير مقيد بوقت ، أما الثانى فانه يكتب ويخرج فيها كتابه مقيداً بالوقت الذى تظهر فيه صحيفته .

« ولكل إنسان أن يقول حينئذ إن انتاج الأديب أكثر تحقيقاً وأبعد غوراً من انتاج الصحافى . وهذا صحيح ولكن الأديب ينتهى مع ذلك بأن يتخصص فى ناحية معينة يتجه اليها أدبه . لأنه يختار الناحية التى تعجبه من نواحى الأدب فينصرف اليها . أما الصحافى فان عمله الذى لاينقطع يوما ولا ساعه ، والذى يطلب منه أن يكون حاضر البديهة حاضر الجواب على كل مايدعى لأن يكتب

فيه، وهو فى كل ذلك لا يختار بل الحوادث هى التى تختار له كل يوم ألوانا جديدة وتدعوه لأن يتجه اليها ، هذا الصحافى ينتهى بان يتسع أفق الأدب والعلم والخبرة عنده ، فيكون كأنه الموسوعة بينما يكون الأديب بجانبه كأنه كتاب فى فن معين »

أما المرحوم الأستاذ أنطون باشا الجميل رئيس تحرير «الأهرام» الغراء فكان يرى أن الصحافى بحكم مهنته وعمله ينبغى أن يكون أديباً . ولا عكس . فلقد قال :

« نعم ينبغى أن يكون الصحافى أديباً . ومن حسن المصادفة ان أتلقى هذا السؤال وأنا ارتب بعض أوراق قديمة عثرت بينها على خطبة القيتها منذ بضع سنوات فى حفلة تأبين المرحوم سليم سركيس وقد طلبت إلى يومئذ أسرة الصحافة أن أقول كلمة باسمها فعرضت لهذا الموضوع : الأدب والصحافة . وأشرت إلى تلك العصبة المباركة من أعلام حملة الأقلام فى القطرين الشقيقين كالشدياق والبستانى وسمير ونديم وعبد الكريم سلمان والمويلحى ومحمد عبده وأديب اسحق وتقلا والحداد وعلى يوسف ومصطفى كامل وولى الدين يكن وغيرهم من الذين كانوا فى آن واحد من أعلام الأدب المعدودين وفرسان الصحافة المعلمين . كانوا من مؤسسى الصحافة العربية وكانوا أركان النهضة الأدبية فى النصف الثانى من

القرن الغابر والربيع الأول من القرن الحالى . ومن يكتب تاريخ الصحافة عندنا يكتب تاريخ الأدب فى تلك الحقبة من الزمن » .

« وإذا نظرنا إلى رؤساء الكتاب فى صحفنا اليوم وإلى كبار معاونيهم نجد الصحافى متلبساً بالأديب »

« نعم ليس كل أديب بصحافى ، ولكن ينبغى أن يكون كل صحافى أديباً ، لأن الصحافة ، قد ارتقت إلى المنزلة التى صارت اليها وأصبحت أشبه شىء بدائرة معارف شاملة عامة ، وبات ارتباط وثيق بينها وبين الأدب » .

« وبعد . إذا رجعنا إلى تحديد الأدب ألا تراه أحوج ما يحتاج اليه الصحافى ؟ » .

« قالوا ان الأدب صناعة تعرف بها أساليب الكلام البليغ فى كل حال من أحواله » .

« وقالوا أيضا إن الأدب علم يتعرف منه التفاهم عما فى الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة ، ومنفعته اظهار مافى نفس الانسان من المقاصد وإيصاله إلى شخص آخر حاضراً كان أو غائبا »

« وهل مهمة الصحافى غير هذا وهو يحاول إيصال مافى نفسه كل يوم إلى عشرات الألوف من قرائه ؟ . وهل يستطيع ذلك إذا لم يكن عارفا بأساليب الكلام البليغ فى كل حال من الأحوال ؟ »

« فهلا غنى للصحافى عن الصفات اللازمة عادة للأديب ، وهو فوق ذلك فى حاجة ماسة إلى صفات أخرى خاصة بمهنته ، لذلك قلت : ليس كل أديب بصحافى ، ولكن ينبغى للصحافى أن يكون أديبا ».

* * *

وأنت تعرف صلة الأستاذ خليل مطران بك بالصحافة والأدب فقد اشتغل بالصحافة عدة سنوات ، ومارس خبرة واسعة فيها وفى الأدب . ولكنه يرى أن الصحافة شىء والأدب شىء آخر ، على انه يمكن الجمع بينهما : « فهناك صحافى أديب وصحافى ليس بأديب . فالصحافى الأديب هو الذى تعلم تعليما وافياً وتمكن فى لغته وأخذ حظاً من البيان ثم زاول الصحافة وتصرف فى الموضوعات تصرفا لا ينسى الأساس الذى قام عليه علمه وأدبه من اتقان اللغة وحسن الديباجة ومراعاة الأصول . أما الذى تعلم تعليما بسيطا ودخل الصحافة لتلقط الأخبار ، أو أن عنده فطنة خاصة لفهم بعض الأمور التى تتعلق بالجماهير ، فهذا لا تستطيع أن تقول إنه أديب . وفى أوروبا يتحتم عادة أن يكون الصحفى أديبا ، لأن هناك وسائل للاعداد فى الصحافة ، وعندهم تنافس شديد يضطر الصحفى أن

يكون متضلعا فى اللغة والأدب ، خبيرا بهما الخبرة كلها . ولهذا يكثر عندهم الصحافى الأديب .

أما أحمد حافظ عوض بك فعنده أن الصحافة قسمان : قسم مالى ، وقسم يعتمد على العقيدة والمبدأ ومن هنا كان الصحفيون قسمين : قسم مالى أى تاجر ، وقسم مبدئى أى صاحب رسالة . أما المالى فليس بلازم أن يكون أديبا ، بل يكفى أن يكون على دراية بما حوله من الشئون العامة وإن كان له رأى فى توجيه جريدته مثل اللورد بيفربروك فى انجلترا ، وكوتيه صاحب الفيجارو الذى يملك معامل العطور المشهورة .

أما الصحفى ذو العقيدة ، فيجب أن يكون أديبا مثقفا ، أعنى مثقفاً ثقافة واسعة ، متتبعاً للحركة الفكرية والعلمية والأدبية خبيراً بالشئون العامة . ولذلك أقول إن الأدب لا ينفك عن الصحافة وهو أحد عناصرها وإن الصحفى أديب أو يجب أن يكون أديبا متى كان من القسم الثانى الذى يحمل القلم .

يقول الصحفى البريطانى الكبير « ويكهام استيد » : المعروف أن الجريدة تعتمد على الجمهور وتتوقف عليه ومن ثم يجب أن تخلص له وتصلحه ، وينبغى لها ألا تنشر ما يلائم ذوق الطبقات المنحطة لكى تزيد من عدد قرائها ، وإن أحسن رد على السؤال سمعته فى

حياتى ، هو أنه يجدر بالجريدة أن تعنى بنشر الأصلح ، بطرق ممتعة جذابة ، تجعل الجمهور يتذوق ما يقرؤه ويستوعبه ، وهنا تأتى أسمى الصفات التى يجب أن يتحلى بها الصحفى . وليست الصحافة النافعة المجدية ، كالسكر الذى يغطى حبة ، ربما لا يستساغ طعمها لو كانت بدونه ، بل إن الصحافة النافعة المجدية ، تشبه أكثر ما تشبه الطعام الذى يعده طاه قدير ، يستطيع أن يتفنن فى المواد التى يستعملها فى إعداد ذلك الطعام ، بطريقة تجعل ما يقدمه منه شهيا ولذيذاً ومغذياً .

هـــذا هو الفرق الصحيح بين الصحفى والأديب ، فالأديب يختار مواده ، ثم يعدها كما يعد الطعام بالطريقة التى تلائمه ، وإذا رغب الجمهور عما يقدمه اليه ، ولم يشتر كتبه ، فإن الخسارة تعود عليه (أى على الأديب) وحده ؛ أما الصحفى ، فعليـــه أن يستعمل المواد التى ترد على سوق الأخبار يوما بعد يوم ، فاذا أساء استعمالها ، فان جريدته قد تخسر بأن يقل عدد المشتركين فيها ، وتضيق دائرة ذيوعها وانتشارها ؛ وربما يضر غيره أكثر مما يضر نفسه ، ومن ثم ينبغى على الصحفى أن يفكر دائما فى جريدته ، وفى خير الطرق التى تمكنه من خدمتها ، والعمل لصالحها .

وفى كثير من الأحايين ، قد لا يوافق الصحفى على المنهج الذى

تسلكه جريدته أو الخطة التى تتبعها ، فيريد أن يقرر ما إذا كان الأجدر به أن يترك الجريدة ، أم يقبل وجهة نظر رئيس تحريرها أو صاحبها ، باعتبارها أقرب الى الحق من وجهة نظره الخاصة ، وقد تصبح المسألة مسألة ضمير يضطر معها الصحفى أن يختار بين أن يفقد وظيفته ، أو أن يتظاهر بالموافقة على شىء يرى أنه خطأ ، وقد يفضل الصحفى النافع ، أن يفقد وظيفته ، ولكن ينبغى عليه قبل أن يفعل ذلك ، أن يتأكد تماما من أنه ليس مغترا فقط بآرائه ، أو مخطئا فى ظنه أنه أرجح عقلا من جريدته .

الجوائز الأدبية والصحفية

عرفت الجوائز بأنها رمز للجمهور ومكافأة للبطولة وإشادة بالنبوغ ، وتشجيع للطلاب على المزيد والاقتداء . وقد عرفت مصر هذه الجوائز على صورة غير نظامية . فقد توضع فى برنامج المباريات الرياضية والأناشيد . وقد تقررها الجمعيات والمجامع . وقد تعمد اليها الجرائد والمجلات وأصحاب الإعلانات فيها ترويجا للصحف والسلع . وقد وضعت جوائز فى سنة ١٩٢٦ لأحسن الرسائل فى موضوعات معينة كرسالة الأزهر فى القرن العشرين . على أن أشهر الجوائز على الاطلاق جائزة نوبل العالمية التى تقررها الأكاديمية السويدية ، فطالما تطلع اليها فحول العلماء والكتاب والمؤلفين والشعراء وأرصدوا جهودهم الفكرية فى سبيل الظفر بها ، ليس لفائدتها المادية فحسب وانما لأنها اعتراف صريح بنزعة الكاتب الى تحقيق المثل الأعلى فى إنتاجه والخروج برسالته من الحيز المحلى الضيق الى المحيط العالمى ، وبث روح الانسانية المشتركة التى ينشدها أنصار السلام ، وهذه هى التى أملت على الفريد نوبل فى شيخوخته أن يوقف ريع ثروته الكبيرة على العاملين فى سبيل السلام والدفاع عن الأخاء الانسانى تكفيرا للمآثم عما نزل بالعالم من نكبات واختراعات ، وقد

خصصت لأحسن البحوث فى العلوم والفنون والآداب .

ومن أشهر الجوائز الفرنسية جائزة جونكور ، وجائزة يتوفراست رينودو ، وجائزة التحالف الدولى ، وجائزة جريدة الأنترانسيجان ، وجائزة الأدب الكبرى التى تمنحها سنويا الأكاديمية الفرنسية .

وقد قررت جامعة فؤاد الأول منذ سنة ١٩٤٦ منح جائزة لأحسن المؤلفين فى الأدب .

أما جائزة جونكور فقد أنشأها الكاتبان أدمون وجول دى جونكور فى القرن التاسع عشر ، وهى تمنح للكاتب القصصى فى « المذهب الواقعى » وقد فاز بها من الكتاب : مارسيل بروست ، وجورج دوهاميل ، ورولان دور جليس . أما المحكمون فى هذه الجائزة ، التى تمنحها الأكاديمية ، فهم نخبة أعلام الفكر والبيان .

أما جائزة نيوفراست رينو دو ، فانها تمنح إلى الكاتب الذى يسعه تغليب الجانب الإنسانى الشعرى فى القصة على الجانب الواقعى الشائع .

أما الجائزة الثالثة فهى فى الحقيقة أعظم الجوائز الأدبية على الإطلاق لأنها لاتمنح إلا للكاتب القصصى المجدد حقاً ، للكاتب الذى يجدد فى الأسلوب وفى طريقة وضع القصة وفى مراميها

الإجتماعية والخلقية وفى اللغة الفرنسيه ذاتها ، وكثيراً ماتمنح لكتاب متطرفين جداً من حيث مذهبهم السياسى والإجتماعى . والأعضاء المحكمون الذين يمنحون هذه الجائزة لايهابون الرأى العام ولايخشون سيطرة التقاليد ويعتقدون أن غايتهم هى البحث عن القصصى المجدد الصادق مهما تعارضت نزعاته وميوله وأفكاره مع النزعات والأفكار المسيطرة على الأدب التقليدى وعلى عقلية الشعب ؛ والدليل على ذلك أن هذه الجائزة منحت مرة للكاتب لويس فرديناند سيلين عن قصته « رحلة إلى أقصى الليل » وهى قصة تكاد تكون موضوعة باللغة الدارجة وتكاد تكون صرخة منطلقة من صدر رجل فوضوى ، ولكن الأعضاء المحكمين تلمسوا حركة التجديد الصحيحة فى الأدب بين ثنايا هذه القصة .

أما جائزة الأدب الدولى الكبرى وقيمتها ثلاثمائة ألف فرنك فهى تمنح لأى كاتب أجنى يكتب بلغته القومية ، ويجوز أن تمنح لأى كاتب مصرى يستحقها . ومن أروع الأعمال الأدبية التى ظفرت بهذه الجائزة قصة لكاتبة مجرية شابة تدعى يولاند فولدس بعنوان : « شارع القط الصياد » وهو إسم شارع معروف فى باريس يأوى اليه الفنانون الغرباء ويعيشون حياة أقرب إلى الصعلكة والفاقة .

وفى الولايات المتحدة عشرات الجوائز الأدبية المختلفة لأن كل ولاية ترصد جوائزها الخاصة وتقصرها على أبنائها . أما الأنجليز فقلما يأبهون لأمثال هذه المظاهرة حتى أن برنارد شو لما منح جائز نوبل رفضها مع أن قيمتها تزيد على ٨ آلاف جنيه . وقد ظفر الكاتب الروائى شارلس مورجان بجائزة هاوتورن .

---

obeikandl.com